

الوجود الصيني في سيبيريا

(دراسة في الفرص والمحددات)

Chinese Presence in Siberia: A Study in Opportunities
and Challenges

م .د. حسان صادق حاجم *

Dr. Hassan Sadeq Hachim

المقدمة

تعد سيبيريا احدى اهم المناطق الغنية بالثروات الطبيعية كالنفط والغاز والحديد والنيكل وغيرها فضلا عن انها تمتاز بخصوبة الارض الواسعة، ونظرا لقربها الجغرافي من اقوى اقتصاد نامي في العالم وهي الصين المستهلك الاهم للمصادر الأولية الطبيعية، لذا بطبيعة الحال زادت اهميتها الاستراتيجية وتطرق بحثنا " الوجود الصيني في سيبيريا دراسة في الفرص والمحددات " في المبحث الأول إلى اهمية سيبيريا الاستراتيجية وما تنطويه من ثروات هائلة وقربها الجغرافي من الصين، وركز المبحث الثاني على مناطق الوجود الصيني في سيبيريا وهجرة العمالة الصينية وعمل شركات النفط والغاز الصينية وغيرها في العديد من الاستثمارات وكذلك شملت التعاون والشراكة مع روسيا، وتطرق المبحث الثالث إلى مستقبل النفوذ الصيني في سيبيريا عبر ثلاثة سيناريوهات تراوحت بين زيادة النفوذ وتراجعها وزيادة الحذرة .مع الاستنتاجات والخاتمة

* الجامعة التقنية الوسطى/معهد الإدارة الرصافة .

مشكلة البحث:

ماهي اسباب واليات ووسائل الوجود الصيني في سيبيريا وماهي الفرص والمحددات ؟

فرضية البحث:

ان هناك تواجداً ملحوظاً للصين في سيبيريا لاسيما في المناطق الحدودية عن طريق العديد من الوسائل التي تستخدمها الصين مع وجود العديد من العقبات في الوقت نفسه .

هيكلية البحث:

يتكون الدراسة من ثلاثة مباحث موزعة وكما يأتي :

المبحث الأول : الاهمية الاستراتيجية لسيبيريا، والمبحث الثاني : الوجود الصيني في سيبيريا، اما المبحث الثالث : مستقبل النفوذ الصيني في سيبيريا مع استنتاجات والخاتمة .

الهدف من البحث:

تسليط الضوء على جانب ينطوي على اهمية كبيرة لاسيما في التنافس بين الدول ذات الاهمية الكبرى في السياسة الدولية كروسيا والصين وعلى منطقة تكمن اهميتها في جانبين يتضمن الجانب الأول موقعها الذي يتوسط الدولتين فضلا عن الاهمية الاقتصادية والتجارية لكل منهما .

اهمية البحث:

تشكل الموارد الطبيعية لاسيما منها الطاقة ادوات الجذب والتنافس للدول ذات المصالح، وتعد سيبيريا واحدة من تلك المناطق الغنية بهذه الثروات مما يجعلها منطقة مهمة للعديد من الدول كالصين وغيرها لاسيما مع قربها الجغرافي، وتكمن اهمية البحث في تسليط الضوء على هذه المنطقة والتوترات التي يمكن ان تحدث وتأثير ذلك على الدول ومن ثم على السياسة الدولية . خاصة مع ماتملكه دول بحجم روسيا والصين من فاعلية وقدرات .

المبحث الأول

الاهمية الاستراتيجية لسيبيريا

تعد مقاطعة سيبيريا الفدرالية من المناطق الروسية النائية شديدة البرودة والتي تتميز بشتاء طويل وصيف قصير وكثافة سكانية منخفضة (صحراء غير مستغلة) وتتميز أيضاً بالعديد من السلاسل الجبلية كالأورال والتاي. وقد عرقلت خصائصها الجغرافية هذه تنميتها الاقتصادية. ومن جانب آخر اسهمت هذه المنطقة بوظيفة امنية طبيعية واستراتيجية هامة لروسيا ضد الغزوات التي تعرضت لها عبر التاريخ، وتكمن اهمية سيبيريا ايضا في ثرواتها من الموارد الطبيعية^(١) وموقعها الجغرافي . لذا تعد هذه المنطقة مهمة من الناحية الاستراتيجية .

اولاً : الموقع الجغرافي لسيبيريا

تشكل سيبيريا^(*) (حسب التعريف الروسي) معظم شمال اسيا تقريبا وتتالف من الاجزاء الوسطى والشرقية من روسيا وتشمل جبال الاورال شرقا إلى المحيط الهادئ،

(1) The Changing Geopolitical Importance of Siberia .
<https://worldview.stratfor.com/.../changing-geopolitical-importance-s>.
accessed . January 2018.

(*) وتعني سيبيريا باللغة التتارية "الارض النائمة" وتم غزو سيبيريا الحالية من قبل المغول في القرن (١٣) حين كانت مأهولة بمجموعات من البدو الرحل وفي القرن (١٤) تأسست خانية سيبيريا المستقلة، وفي غضون القرن (١٦) بدا النمو الروسي وهيمنته على خانات سيبيريا، وانشاء حصون بعيدة في مدن تارا، ينسك، توبولسك ومن ثم الوصول إلى المحيط الهادئ وتعرضت الشعوب الأصلية في منطقة أمور في سيبيريا للهجوم والاستعمار من قبل الروس القوقازيين وما يدعى ب(لوتشا) باسم اللحى الحمراء وكان السكان من رعايا اسرة تشينغ خلال الصراعات الحدودية الصينية الروسية، تعرضت للإبادة الجماعية والعبودية من قبل الروس على مدى السنوات العشرين الأولى من الحكم الروسي، . وفي القرن (١٩) بدأت الامبراطورية الروسية بارسال السجناء إلى سيبيريا خاصة وانها منطقة قليلة السكان حيث تم ارسال نحو (١,٢) مليون

ومن المحيط المنجمد الشمالي إلى جنوب كازاغستان وإلى حدود منغوليا والصين بمساحة تقدر ب (٦) مليون/كم^٢ ونحو ثلثي أراضي روسيا ويبلغ عدد نفوسها نحو (٦) مليون نسمة بنسبة (٤%) من تعداد روسيا البالغ (١٤٤,٥) مليون نسمة حسب احصاء (٢٠١٦)^(١).

وكان اول تغيير عصري كبير فيها بين عامي ١٨٩١_١٩١٦ وذلك بإنشاء سكة حديد ترانس سيبيريا (أطول سكة حديد في العالم^(٢))، مما زاد في التوسع التجاري الذي رافقه انتشارا واسعا للجيش الروسي شرقا، وانتقل ما يقرب بنحو (٦) ملايين مستوطن من روسيا الأوربية إلى سيبيريا وصل (٨٥%) منهم في الربع الأول من القرن الماضي قبل الحرب العالمية الأولى وتزامن ذلك مع انتشار العديد من المدن الصناعية وبشكل واسع جدا ابان مدة حكم ستالين مثل ماغنيتو غورسك ونوريلسك وزلاتوست كسياسة لتوزيع مناطق القوة الصناعية والزراعية للدولة . وعلى الرغم من مناخها المتقلب إلا أنها تمثل قيمة اقتصادية كبيرة لروسيا وذلك لزراعة القمح والشعير وغيرها لاسيما الجنوب الغربي منها الاكثر اعتدالا مع توفر التربة السوداء عالية الخصوبة،

سجين، وبعد الحرب العالمية الأولى تعرضت سيبيريا لإبادة أخرى اثر محاولات التخلص من الاستعمار الروسي ١٩١٨_١٩٢٣ وفي القرن الحالي في عام ٢٠١٤ واصلت الشركات النفط والغاز في تدمير أراضي السكان المحليين بتعاون البرلمان الاقليمي لاضعاف التشريعات التي تحمي مجتمعات خانتني والمنسي من السكان الأصليين للمزيد ينظر:

Andrei Markevich and Tatiana Miknailova ،Economic Geography of Russia ، New Economic School ،Moscow ،February ،2012 ،pp 2_10.

(1) Amanda. B ،Geography of Siberia ،Learn Information about the Eurasian Region of Siberia ،Thought Co. Updated March 17 ،2017 .

(2) Grzegors . N ،The Rising Dragon and Wounded Bear :Analysis of Modern Sion _ Russian Politival and Economic Relations ،Cracow University of Economic 2012,P50.

وانتشار تربية الماشية، وزادت الهجرة خلال العقود الماضية اضعافا عدة للتسهيلات ونظام الحوافز الذي قدمته الحكومة الروسية (١) .

ثانيا : الاهمية الاقتصادية

وتتميز سيبيريا بجغرافية بعيدة ومنعزلة لم تتأثر في اغلب مناطقها فهي محمية طبيعية للدببة والايائل، وتعد تجارة الفراء الرائدة منذ مئات بل الالف السنين في منطقة ايفينكيسكي . وهي أيضا واحدة من مواطن الاسماك النادرة (سمك التايمين السيبيري، السلمون، الخ) وبكميات هائلة تجعل شركات الصيد في سباق مستمر نحوها، لاسيما مع تعلق الامر بانواع السمك ذو الطابع الديني، خاصة مع وفرة الانهار والبرك عالية النقاوة (٢) .

ومن جانب اخر تعد سيبيريا من اكبر الخزانات الطبيعية للننكل في العالم (الذي يشكل ٤٠% من الاحتياطي العالمي) في منطقة نوريلسك، وكذلك الذهب والحديد والرصاص والفحم والمولبيديوم والجبس والماس والحديد ايضا، حيث تحتل روسيا المرتبة الرابعة في انتاج الصلب بعد الصين واليابان والولايات المتحدة بكمية تصل إلى نحو مليار طن من الحديد (٣) ويقدر علماء الجيولوجيا الروس الكميات الموجودة تحت سطح الارض في سيبيريا فقط تكفي؛ لانتاج مئات الملايين من السيارات مما يجعلها

(1) Andrei . M and Tatiana M ،op.cit ،p 9.

(2) Taimen Fishing in Central Siberia ،56 PARA//EL ،Australia ،
www.56thparallel.com/.../Taimen-fishing-in-Central-Siberia-summer..
accessed January 2018.

(3) Andrew .E.Kramer ،China 's Hunger Fuels Exports in Remote Russia .
www.nytimes.com/2010/06/10/business/global/10ruble.html?...all
accessed 2018.

منطقة ذات فاعلية لجذب الشركات واصحاب العمل والعمالة البسيطة ^(١) لاسيما مع قربها الجغرافي من الصين فضلا عن القاعدة الشعبية من الصينيين المهاجرين .

وفضلا عما سبق تشكل الطاقة احد اهم الموارد الطبيعية في سيبيريا ويبلغ انتاج روسيا من النفط نحو (١٠) مليون برميل/اليوم لعام ٢٠١٥ ^(٢) يقع في اقلية في منطقة غرب سيبيريا في حقول بريويسكوي بريرازلومنوي، مامونتوفسكوي، مالوباليكسكوي وسورغوت. وتساهم حقول سخالين النفطية في الشرق الأقصى من سيبيريا في إنتاج النفط بكميات هائلة، وفيما يخص الغاز الطبيعي تمتلك روسيا نحو ربع الاحتياطي العالمي الذي تديره شركة غاز بروم . وتتركز (٩٥%) من الاستكشافات في سيبيريا (حقول الغاز الطبيعي في سيبيريا هي الأكبر في العالم) ^(٣) شأنها بذلك شأن أكثر الموارد الطبيعية والاستراتيجية الروسية الأخرى، ويشكل النفط والغاز اهم ركائز الاقتصاد الروسي بنسبة (٥٠%) من ميزانية روسيا، فضلا عن ان هناك لاعبين رئيسيين مثل المانيا وايطاليا وتركيا تعتمد في مصالحها على الغاز الروسي ^(٤) وبالتالي اقامة علاقات تجارية وسياسية واقتصادية فقد فتح موقف روسيا من الطاقة افاقا سياسية واقتصادية لاسيما في موضع الطاقة الأوروبية اي أن سيبيريا تعد مصدراً هاماً جدا لاوربا والصين وغيرها من الدول.

- (1) Maria Renpnkova 'Media Politics in China', First Published 'Improvising Power Under Authoritarianism', Georgia State University, Georgia, 2107, pp 1_173.
- (2) OPEC 'Organization the Petroleum Exporting Countries', Annual Statistical Bulletin, 2016, p 28 ; British Petroleum, 'Statistical Review of world Energy', JUNE, 2014, [https://www. bp.com/energy-outlook](https://www.bp.com/energy-outlook), p 8. Accessed January 2018.
- (3) Keith Suter, 1969 : Russia and China _ The war That did not Happen , Copyright © The Global Factor Pty Ltd All Right Reserved www.Global-Directions.com Keith@KeithSuter.com.au, pp 1_4 . accessed January 2018.
- (4) The Changing Geopolitical Importance of Siberia ,op .cit . pp 1_5.

ومن جانب اخر اقامت روسيا والصين في عام ٢٠٠٩ انشاء خط انابيب في منطقة شرق سيبيريا والمحيط الهادئ بطاقة انتاجية بلغت (٦٠٠٠٠٠) برميل/اليوم، اي ان هناك تنمية لعلاقات الطاقة مع شرق اسيا لاسيما مع الصين لاستثمار احتياطات النفط غير المستغلة في شرق سيبيريا وسخالين . واكتسب احتياط الغاز الطبيعي في وسط سيبيريا اهمية متزايدة لكل من روسيا والصين وكذلك المعادن الأخرى، حيث اظهرت الاتجاهات السائدة في اوربا لروسيا اهمية تطوير العلاقات مع الشرق في مجال الطاقة لسببين:

الأول: ان استهلاك الطاقة الاوربي وصل ذروته لاسباب ديمغرافية واقتصادية .

ثانيا: ان العديد من الدول الأوروبية هي في طور تنويع مدخلاتها من الطاقة على حساب صادرات الطاقة الروسية لاسيما مع نمو الغاز الطبيعي المسال وتأمين هياكل استيراده وفي الوقت نفسه تفكيك امدادات وتوزيع ومبيعات أصول الطاقة في العديد من الدول الأوروبية حيث هيمنة غازبروم (في كل من العرض والتوزيع) لاسيما في وسط وشرق اوربا وهي بولندا وليتوانيا . وان السوق الاسيوية سوق واعدة ولكنها جديدة نسبيا لروسيا . وبصرف النظر عن كيفية تطور سياسة الطاقة الروسية ستبقى سيبيريا جزءا حاسما من الدولة الروسية كمنطقة عازلة وقاعدة موارد^(١) .

تعد سيبيريا الغنية بالمعادن والنفط والغاز موطنا لمنتجي النفط والغاز والفحم وفي نيسان من عام (٢٠١٣) اعلنت روسيا استثمارا بقيمة مليار دولار في المنطقة، وامر رئيس الوزراء الروسي ديمتري ميدفيديف الحكومة بوضع برنامج تنمية الشرق الاقصى بلغ مجموعها (١٦) مليار دولار لتطوير سيبيريا والمناطق المحيطة بها بحلول عام (٢٠١٨) قائلًا ان ذلك يمثل اولوية عليا لروسيا لقرب سيبيريا من الاسواق الاسيوية المتنامية، وقد تتبأ رئيس الوزراء في زيارته للمنطقة بأيرادات ضخمة للمال المستثمر في المنطقة قد يصل إلى تريليونات من الروبل الروسي والذي من شأنه

(1) The Changing Geopolitical Importance of Siberia ،op .cit ،pp 1_5.

انعاش الاقتصاد الروسي، وباشرت الحكومة الروسية في تعزيز قدرات السكك الحديدية عبر سيبيريا وتطوير البنية التحتية الاقليمية للطيران والمطارات والموانئ وبناء الطرق السريعة فضلا عن تطوير قطاع الطاقة القائم بالفعل وفقا لتقرير صادر عن وكالة الانباء الرسمية ربا نوفوستي . وعلى الرغم من ان الحكومة لم تربط خططها للاستثمار في المنطقة بشكل واضح إلى النمو المرتفع في الصين، لاسيما في سيبيريا فإن شركات الطاقة الروسية التي تقوم بتطوير انابيب للصين قد استفادت بالفعل من امكانات البرنامج ووقعت مجموعة الطاقة الحكومية الصينية (CNPC) عددا من الصفقات تبلغ قيمتها مليار دولار مع شركتي النفط والغاز الروسييتين روزنيف وغاز بروم على خلفية خطط تطوير خطوط الانابيب وشبكات نقل الموارد من سيبيريا إلى الصين لقربها الجغرافي الكبير، على عكس البضائع البرازيلية والافريقية وغيرها من المناطق التي تستغرق وقتا وجهدا واموالاً، مما يعطي السلع السيبيرية افضلية المنافسة على المدى الطويل وتشكل سيبيريا ما لا يقل عن (٨٠%) من موارد روسيا النفطية وفقا لما ذكرته الحكومة . كما انها تضم حوالى (٨٥%) من غازها الطبيعي و(٨٠%) من الفحم وكميات مماثلة من المعادن الثمينة والماس، وتملك ما يزيد قليلا على(٤٠%) من موارد الاخشاب فى البلاد مما يجعلها منطقة رئيسة لاستغلال تلك المصادر (١) .

المبحث الثاني

الوجود الصيني في سيبيريا

ويعود تاريخ الهجرة الصينية إلى سيبيريا والشرق الاقصى الروسي إلى بداية النصف الثاني من القرن (١٩) وعندما ضمتها الامبراطورية القيصرية مثل حوض نهر

(1) Holly . E ،Why Siberia Could Be Russia's Secret Economic Weapon ، 18/June 2014 ، <https://www.cnbc.com/id/100823089>، pp 1_4. Accessed January 2018.

امور والمنطقة التي تصل إلى الساحل والمعروف ان هذه المناطق كان يقطنها السكان الأصليين وعدد قليل من الصينيين (1).

فعلى الرغم من أن مدينة بلاغوفيشتشينسك السيبيرية مدينة روسية إلا أنها تبعد (٨٠٠٠) كم عن موسكو وعلى الجانب الصيني لا تبعد سوى نحو (٨٠٠) م إذ لا يفصل بين البلدين سوى نهر أمور ففي فصل الشتاء عندما يتجمد يمكن العبور سيراً على الاقدام. وحتى عام ١٩٨٩ كانت هذه المدينة المهمة مغلقة على القومية الروسية وليست كبقية المدن الأخرى، وحالياً فهناك تأثير صيني متنامي فيها وفي الشرق الأقصى الروسي بشكل عام، إذ استولى الصينيون على اجزاء كبيرة من الاقتصاد، كالمزارع الجماعية القديمة المهجورة التي يديرها المهاجرون الصينيون، فضلاً عن إنتشار الزيجات المختلطة التي اصبحت شائعة، فضلاً عن تنامي إستخدام اللغة الصينية والتي عدت الاكثر شعبية وتدرس في بعض المدارس والجامعات . وهناك تعايش للقوميتان الصينية والروسية في ونام نسبي على الرغم من ان بعض الروس ليسوا سعداء جدا بهذا التوسع الصيني اذ يجد البعض انفسهم خارج سوق العمل بسبب منافسة العمال الصينيين الذين يتقاضون اجور منخفضة(٢) إذ تستخدم الصين القوى الناعمة في سياستها تجاه سيبيريا .

وتتقاسم الصين وروسيا حدوداً مشتركة تصل إلى (٤٣٠٠) كم وتقتصر على نهر امور، حيث يقطن في جانب الصين قرابة (١,٣) مليار نسمة ويمتلكون (٧%) فقط من الاراضي الصالحة للزراعة في العالم وهم في حاجة ماسة إلى الموارد الغذائية

(1) Maria . R ،Harley.B ،Chinese Migration to Russia Missed Opportunities ، Wood Wilson International Center for Scholars ،Washington ،D,C،2009، PP2_18.

(2) Xavier Luizet ،Ksenia Bolchakova ،Is Siberia becoming Chinese ? 2012 ، <http://www.france24.com/en/20120928-reporters-siberia-chinese-immigration-russia-blagoveshchensk-farming-labourers-business-tension> ، Accessed January 2018.

ويقابل ذلك (٦) مليون نسمة من السكان الروس في ارض غنية غير مستغلة مع تناقص في المواليد الروس والهجرة المتزايدة إلى المناطق الغربية، ويقابل ذلك رغبة جامعة للصينيين للدخول والعمل في العديد من مناطق سيبيريا مع ماتقدمه الصين من عمالة رخيصة جدا مقارنة بالعمالة الروسية التي ساهموا في شغل الاراضي المهجورة التي تخلى عنها الروس (١)

منذ تفكك الاتحاد السوفيتي استقر المزيد من المواطنين الصينيين في سيبيريا للبحث عن فرص جديدة لاسيما رجال اعمال وحرفيين وزراعيين وتعد منطقة بلاغوفيشتنسك واحدة من اقدم المجتمعات الصينية في روسيا واستأجرت الصين ما مجموعه (٤٢٦,٦٠٠) هكتار في بيروبدزهان ومنطقة خاباروفسك الروسية، فضلا عن عشرات الالاف من التجار الصينيين والعمال الموسمييين ذهابا وايابا عبر الحدود، ويستقر المهاجرون ليس في المناطق الحدودية فقط بل ويتعمقون بشكل متزايد في الاراضي الروسية في اكبر عمليات هجرة في العالم، وتثير الهجرة الصينية هذه إلى سيبيريا تساؤلات روسية بشأن وجود خطط صينية طويلة الاجل للهيمنة المحتملة على المنطقة لاسيما مع تراجع معدل النمو الديمغرافي السكاني الايجابي الروسي وتشجيع الحكومة الصينية الهجرة إلى الشرق الاقصى الروسي خاصة وان هناك اكثر من (٩٠) مليون صيني يعيشون في الشرق الاقصى في الجانب الصيني ولايمتلكون اراضي صالحة للزراعة والمعمل ان يحصلوا على فرصة في سيبيريا، والمتوقع ان يؤدي ذلك إلى تقويض مستقبل البلد بشكل خطير وفي سيبيريا على وجه الخصوص ويفتقر الموضوع إلى احصاءات دقيقة حول عدد الصينيين المهاجرين إلى سيبيريا (٢).

تستخدم الصين جميع الوسائل الممكنة لضمان توسعها واستغلال الاراضي الزراعية واستغلال مناطق الغابات وتشبيد الهياكل للطرق وخدمات السكك الحديدية

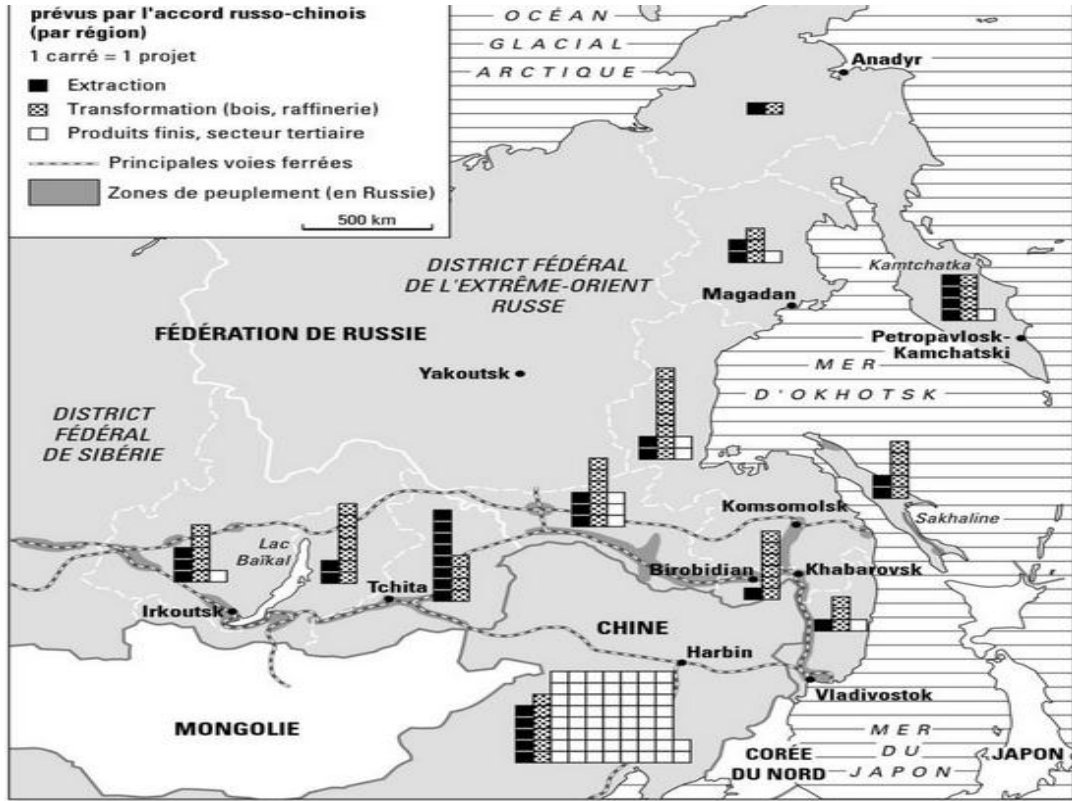
(1) Russia _ China : Future changes in Siberia LEAP 2020. www.leap2020.net › Home/Accueil. Accessed January 2018.

(2) Xavier Luizer ,Ksenia Bolchakova ,op . cit ,pp1_2.

السريعة التي تربط المدن الصينية بفلاذيفوستوك وخطوط نقل البضائع إلى يكاترينبرغ لتصل إلى وجهات أخرى من الدول الغربية مثل ألمانيا وفرنسا وإيران مما يسمح برسم خطوط مباشرة بين الصين وروسيا متجاوزة منغوليا أو بلدان أقل امننا مثل قيرغيزستان وكازاخستان وتضاعف المناطق الحدودية الحرة للمعاملات التجارية والاستثمار الضخم في بناء انابيب النفط والغاز لجلب الغاز الروسي إلى الصين فضلا عن الاستثمارات العقارية وهذه السياسات مدعومة بقوة من قبل المصارف والمؤسسات الصينية من خلال اتفاقيات المعاملات المالية بالروبل عبر القروض المصرفية المقدمة للشركات الروسية والافراد أو حتى المقايضة بين البنوك المركزية وهذا يشمل على وجه الدقة سيبيريا ولكن على مستويات أقل بسبب الفساد الإداري .

على الرغم من العلاقات الغير مستقرة بين روسيا والصين فكلاهما وريثة انظمة فكرية غير متجانسة إلا أن سياسة كل من الجارين الشرقيين اخذت تقاربا اكبر لاسيما مع حاجة كل منهما للاخر في العلاقات الدولية والنظام العالمي الجديد وتعد الصين كأكبر شريك تجاري لروسيا منذ عام (٢٠١٤) إذ يمثل اجمالي التجارة بينهما بنحو (١١%) بواقع (٢٠٠) مليار دولار سنويا بحلول عام (٢٠٢٠)، وهذه العلاقة مريحة للجانبين فقد انقلت روسيا بالعقوبات الأوروبية منذ خمسة سنوات حتى الان وهي بحاجة ماسة لتطوير اسواق جديدة لحياء اقتصادها، حيث تعتمد الصين إلى تاجير الاراضي الزراعية مما يوفر قدرات نقدية هائلة لروسيا بسبب (التأجير والضرائب) من خلال عقود طويلة الامد مع الصين تصل إلى (٣٠) عام . وتعتمد روسيا على الصين للمساعدة في ضمان الاستقرار الجيوسياسي في مناطقها الجنوبية الغربية (سيبيريا) حيث هناك تحالف روسي صيني ضد الغرب لاسيما في التدخل العسكري الروسي في اكرانيا في عام ٢٠١٤^(١).

(1) Russia _ China : Future changes in Siberia ،op.cit .



Source : Russia _ China : Future changes in Siberia LEAP 2020. Accessed January 2018. «www.leap2020.net > Home/Accueil

يوضح الشكل السابق مناطق الوجود الصيني لاسيما في المناطق القريبة من الحدود الصينية في سيبيريا، إذ اللون الاسود يمثل مناطق الاستخراج للنفط والغاز اما اللونين (الابيض والاسود) فهي مناطق الصناعات التحويلية اما اللون الابيض المناطق الانتاجية.

وقد اخذت لغة الحوار والتعاون (*) الاقتصادي والبحث عن حلول للمشاكل العالمية لاسيما منذ نهاية الحرب الباردة وهذا التناغم يتوحد بالشعور اتجاه الولايات

(*) في ظل حكم ايفان الرهيب كانت هناك خطط لفتح طريق التجارة إلى الصين ولكنها بقيت مجرد فكرة على الرغم من مرور البضائع الصينية إلى ليتوانيا وبولندا وحاولت بريطانيا الحصول على اذن بفتح طريق تجاري للصين من خلال روسيا لكنها فشلت؛ لأن روسيا فضلت ترك هذا الطريق

المتحدة والغرب والرغبة بالاستقرار السياسية واتجه الطرفين إلى علاقات اقتصادية ثنائية ومتعددة الاطراف من خلال استيراد السلع الصينية أو بعض القطع العسكرية الروسية للصين وازداد التعاون في استراتيجيات الطاقة وعزز ذلك رغبة روسيا في لعب دور اكبر في شرق اسيا وقد تكرر ذلك بانهياء العلاقات مع الغرب بحلول ازمة اكرانيا^(**)، ودخلت روسيا باستراتيجية مزدوجة تجاه الصين في مجال الامن والسياسة العسكرية وتم تفعيل الركيزة الأولى بالحوار العسكري السياسي والتعاون في مجال التسلح وتحسين الثقة المتبادلة والشفافية على حد سواء ونظام الاستجابة المشتركة لتهديدات الغير مباشرة في اسيا الوسطى بما في ذلك التطرف الإسلامي والارهاب والاتجار بالمخدرات . وتستخدم روسيا مفتاح القوة العسكرية المشتركة كاستعراض قوة تجاه النانو والولايات المتحدة، ومن جانب اخر تشعر روسيا بالقلق من صعود الصين المطرد ومنذ مدة طويلة لاسيما مع ارتفاع الناتج المحلي للصين لاربعة اضعاف نظيره الروسي، في حين تستمر روسيا في ريادتها في مجال الأسلحة النووية والأسلحة بشكل عام . والعمل بشكل اكبر جدية تجاه موسكو لاسيما في الوصول إلى الموارد في الشرق الاقصى الروسي، اما الركيزة الثانية هي استراتيجية إعادة تأهيل الصين والحفاظ على

لمواطنيها فقط وهذا الوضع هو السبب الرئيسي للتنافس الانجلو _ روسي الذي مهد لتوسع روسيا في اسيا، للمزيد ينظر : pp 45_46. ، op . cit ، Grzegors . N

(***) يسعى الغرب إلى تطوير العلاقات مع جزيرة القرم من خلال المشروع الطموح "الشراكة الشرقية" الذي اطلقته دول الاتحاد الاوربي في العاصمة التشيكية براغ في عام ٢٠٠٩ وفحواه التمدد وضم كل من بيلاروسيا واذربيجان وارمينيا واوكرانيا وغيرها إلى الاتحاد الاوربي لمنع روسيا من إعادة مجد الاتحاد السوفيتي السابق، مما اثار ذلك غضب روسيا وادى إلى التدخل العسكري الروسي في اكرانيا عام ٢٠١٤ للمزيد ينظر :

عمرو محمد إبراهيم، قراءة استراتيجية : التطورات السياسية في ازمة القرم بين الافاق والتداعيات، المركز الديمقراطي العربي للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية، ١٤، اغسطس ٢٠١٦.

قدراتها الدفاعية من خلال تحديث ترسانتها النووية والتخلص من دفاعاتها الجوية الاستراتيجية في الشرق وتعمل روسيا على احتواء الصين من ناحيتين (١) :

١. تهديد الدول المنافسة للصين بأسلحة حديثة أو تشارك في نزاعات كالهند وفيتنام .
- ب. ومن ناحية أخرى تجنب تزويد الصين بأحدث أنظمة الأسلحة الروسية .

وقد ركزت موسكو على جانب واحد على توسيع دعامة التعاون لاستراتيجيتها المزدوجة من خلال زيادة وتيرة ونطاق المناورات المشتركة بعد ان كانت زيارات عسكرية متبادلة إلى مشاركة البحرية عام (٢٠١٥) للمرة الأولى في منطقة البحر المتوسط وبحر اليابان لاسيما في توسيع نطاق العمليات العسكرية في مكافحة الارهاب والقتال والقرصنة

وفي يناير من عام (٢٠١١) تم تشغيل خط انابيب روسيا والصين رسميا وفي خلال السنة الأولى من عملها تم تصدير (١٥) مليون طن من النفط إلى الصين ويشكل النفط الروسي نحو (٦%) فقط من واردات الصين من العالم، وشمل الاتفاق الغاز الطبيعي والطاقة النووي والمائية والفحم (٢)

منذ عقد اتفاق (قوة سيبيريا) بين الصين وروسيا عام ٢٠١٤ وهو استثمار طويل الاجل يهدف إلى تأمين عائدات جيوسياسية وسياسية واقتصادية لكل من الصين وروسيا والجغرافية السياسة والتجارة، وهو نموذج جدي لعلاقات القوى الكبرى حيث وقعت روسيا والصين في شنغهاي في مايو ٢٠١٤ اتفاقية شراء وبيع الغاز لمدة (٣٠) عاما تبلغ قيمتها (٤٠٠) مليار دولار التزمت بها شركة البترول الوطنية الصينية بشراء (٣٨) مليار م^٣ من الغاز سنويا من غاز بروم ويصل هذا الحجم إلى (٢٠%) من

(1) Margarete . K and Kirsten .W ،Russia : Turn to China ? ،Global Issues Division ،German Institute for International and Security Affairs, January 2016 ،pp 1_4.

(2) Victor . L ،Russia and China : New Trends in Bilateral Relations and Political Cooperation ،apcss.org/wp-content/uploads/2012/09/Chapter14.pdf ،p 4.

استهلاك الصين لعام (٢٠١٤) ونحو (٦٠%) من وارداتها من الغاز وتصل قيمة الاستثمار المشتركة لهذا المشروع إلى (٧٠) مليار دولار، ويعد هذا المشروع قوة سيبيريا الخطوة الأولى نحو بناء علاقة استراتيجية للغاز مع الصين اقرب من تلك التي مع اوربا الغربية، اي ان روسيا ستدعم تجارة الغاز على المدى الطويل ب (١٠٠) مليار/سم^٣ من طاقة سيبيريا مما سيخلق صلة فعلية بين البلدين تبلغ قيمتها إلى عشرات المليارات من الدولارات، حيث ان علاقة الغاز هذه تعد حلقة وصل استراتيجية رئيسية من حيث اهميتها للجانبين لاسيما عقب ازمة اوكرانيا يعد نجاحا كبيرا لروسيا مع تقدم كبير للدبلوماسية بين الدولتين، فإن قوة سيبيريا تشير إلى التكامل الطبيعي بين البلدين وتظهر قدرة روسيا على تطوير اسواق تصدير جديدة خارج اوربا^(١) من خلال خط انابيب شرق سيبيريا والمحيط الهادي (اسبو). وقد لا يوفر هذا المشروع ربحية على مدى السوق القريب وذلك لتدني مستوى الأسعار للغاز الذي تم الاتفاق عليه إلى دون سعر السوق والذي سيجمل بعض الخسائر للجانب الروسي يمكن تعويضها على الامد الطويل للمشروع، وفي نفس الوقت يرى بعض الصينيون ان هذا الاتفاق لا يعد ذو فائدة ربحية كبيرة للصين وذلك؛ لأن الشركات الصينية قد تحملت على عاتقها خلال العقود الطويلة القدرة على استيراد النفط والغاز من جميع بقاع الارض وبأسعار قليلة جدا . ولكن هذا المشروع سيتيح للصين القدرة على التوسع في سيبيريا وزيادة وتنوع الاستثمارات في سيبيريا .

ومن جانب اخر يسلط الخبراء الصينيون الضوء على عدد من التحديات للتعاون المستقبلي في مجال البترول مثل انخفاض انتاج روسيا في سيبيريا والحواجز امام الاستثمار الاجنبي في روسيا والنزاعات في الأسعار وفاق التعاون في مجال

(1) Pierre . N ،The Power of Siberia natural _ gas project commercial or political ? ،for Russia The power of Siberia gas deal with China is a long term investment aimed at securing geopolitical returns ،30/1/2017 .

الفحم تخضع لنفس عدم اليقين وانعدام الثقة بين الطرفين (١).

هناك قواسم مشتركة بين الصين وروسيا لاسيما في اسيا الوسطى وسيبيريا تقلل من الخلافات والمخاوف من زيادة نفوذ الصين حيث يلاحظ ترحيبا تجاه الاستثمار الصيني في الشرق الاقصى الروسي وتشجيع المشاركة النشطة في مشاريع مثل سيبيريا وبيكال _ امور . ومن جانب اخر تعتمد الصين إلى استغلال الشكوك الروسية حول التغيرات في سياسة الطاقة الأوروبية للضغط من أجل الاستحواذ على اتفاقات مشروطة، لتأمين زيادة النفط ومشاريع أخرى في سيبيريا وغيرها وكذلك الاستفادة من المخاوف الجيوسياسية الروسية تجاه الغرب لتسريع عمليات البيع والشراء للموارد وضمان التسامح الروسي لزيادة المشاريع والاستثمارات في سيبيريا و اسيا الوسطى، ولعله سيكون سؤال مفتوح عن عدد الأهداف الروسية والصينية التي سيتم تحقيقها من هذا التعاون فهي شراكة انتقائية (٢) .

يشير استاذ جامعة موسكو فيلينا جيلبراس الذي يجري بحثا حول الهجرة الصينية " واستنادا إلى البيانات التي جمعها حرس الحدود الروس في عام (١٩٩٨ _ ٢٠٠١) فقد عبر الحدود الحدود الروسية ما بين (٤٥٠٠٠٠٠ _ ٤٩٠٠٠٠٠) صيني ثم عادوا إلى ديارهم وفي عام (٢٠٠٢) ارتفع هذا الرقم بنسبة (٥٥%) وخلال نفس الفترة سمح لحوالي (٣٥٠٠٠٠) صيني بالاستيطان بشكل دائم في روسيا وقد أشار الباحث ايضا بان الهجرة غير عفوية فهي للبحث عن منفعة العمال والفلاحين، وان هناك شكلا محددا من اشكال حركة القوى العاملة وهو باتجاه تدفق السلع وذلك لارتباط العديد من المهاجرين الصينيين بتهريب المواد الخام إلى الصين وبشكل غير مشروع (الملايين من

- (1) Linda . J ،and others ،China's Energy and security relations with Russia ، Policy Paper ،Stockholm international Peace Research Institute(SIPRI) ، October 2011.
- (2): Bobo LO ،Sino _ Russian Relations ،Short Term Policy Brief 87 ،Europe Chia Research and Advice Network (ECRAN) European Union May 2014 ،PP 9_11.

الامتار المكعبة من الاشجار والخشب المقطوع بشكل غير مشروع) إلى مدينة مانتشولي الصينية جنوب شرق تشينيتا حيث مئات مصانع الاخشاب الصينية، فضلا عن زراعة الاراضي التي يمتنع الروسيون زراعتها وكذلك شراء المستثمرون الصينيون العديد من المصانع القديمة والمخازن وتحويلها إلى مصانع) اي ان سيبيريا تتحول في اعتمادها اقتصاديا الي الصين وان مستقبلها سيكون في ايد الصين المحلية " (١) .

وعلى الرغم من ان روسيا والصين تتمعان بعلاقات دبلوماسية وتجارية قوية، وغالبا ما تدعم بعضهما البعض في الامم المتحدة، غير ان هناك مصدراً قويا للتوتر بين البلدين يتزايد وهو مسالة النفوذ الصيني في الشرق الاقصى الروسي . فبعد ايام من اعلان روسيا انها سترسل غواصات نووية جديدة للانضمام إلى اسطولها في المحيط الهادي اصدر رئيس الوزراء ديمتري ميدفيديف تحذيرا للصين حول نفوذها في المنطقة، وقال "انه من المهم عدم السماح للمظاهر السلبية بما في ذلك تشكيل جيوب مؤلفة من مواطنين اجانب في المنطقة " وان على روسيا الدفاع عن اراضيها ضد التوسع المفرط من قبل الدول المجاورة، وتؤكد هذه التصريحات القوية الشكوك بان الكرملين يخشى ان يكون التدفق المستمر للمهاجرين الصينيين إلى منطقة سيبيريا والشرق الاقصى ذات الكثافة المنخفضة تهديدا لسيطرة روسيا في المنطقة . وكلفت الحكومة الروسية وزارة الشرق الأقصى لإدارة بعض البرامج الهادفة إلى تعزيز السكان الناطقين بالروسية، ونقلت بالفعل (٤٠٠) أسرة من أجزاء أخرى من الاتحاد السوفياتي السابق. ويريد بوتين أن تعيش الأقليات تحت مظلة الثقافة الروسية، وأن تتحدث اللغة الروسية، وتعلم التاريخ الروسي، وتقرأ الأدب الروسي (٢) .

يتضح مما سبق ان استمرار التواجد الصيني وتوسعه المستمر يمثل مصدر قلق

(1) Richard . R ،Will China Colonize and Incorporate Siberia ? July 2012 ، [https://www . reddit .com/.../will_china_colonize_and_incorporate_sib](https://www.reddit.com/.../will_china_colonize_and_incorporate_sib). Accessed January 2018.

(2) Joseph . W ،Is China aiming for Sibirria ? Does it want to take Siberia away from Russia ،<http://www.bitquant.com.hk>. January 2018.

لروسيا الامر الذي دفع روسيا إلى إجراء بعض التحصينات لموازنة هذا الانتشار المتزايد اي انها تعالج بحذر هذه المشكلة ولكنها في الوقت نفسه تستفيد من هذا الانتشار لتاهيل المنطقة لصالحها مستقبلا من خلال زرع افكار المواطنة الروسية لفائدة الاقتصاد الروسي من خلال استثمار العقول الصينية والبنى الاجتماعية الصينية التي تتخذ من العمل الشاق ركيزة مهمة في حياتها قد تفتقدها المجتمعات الاورواسيوية لاسيما في الظروف المعاشية والطبيعية الصعبة .

المبحث الثالث

مستقبل النفوذ الصيني في سيبيريا

ان عملية قياس مستقبل النفوذ الصيني في سيبيريا مهمة في غاية الصعوبة وذلك للأسباب التالية :

١. اخذت طبيعة التغلغل الصيني في روسيا طابع التعاون عبر اتفاقيات رسمية مع الحكومة الروسية، ولا يمكن عد ذلك مستوى من النفوذ يمكن قياسه اي ان ترسيم هذه الاتفاقيات بشروط لايمكن إطلاق صفة النفوذ عليها وبالتالي فهي غير مقترنة بحدود انية بل مستقبلية .
٢. نحن امام دولتين احدهما ذات تفوق عسكري هائل والثانية ذات تفوق اقتصادي ونمو مستمر لذلك فإن لكل منهما ادوات مختلفة لايمكن جعلها وحدة قياس لمستقبل تنامي نفوذ واحدة وتقهقر الأخرى.
٣. لايمكننا عد الطرفين عدوين ولاحليفيين وعليه فإن كل الاحتمالات المستقبلية متاحة. وعلى الرغم من تلك المعوقات يمكننا صياغة مشاهد احتمالية يمكن ان تصبح مسارات مستقبلية لطبيعة النفوذ الصيني في هذه المنطقة . وستحدد هذه الدراسة اطار المستقبل المتوسط لتوفر المعطيات لهذه المرحلة .

اولاً : مشهد زيادة النفوذ الصيني في سيبيريا

ويقوم هذا المشهد الاحتمالي على فكرة تصاعد مستويات النفوذ الصيني في سيبيريا لورود متغيرات تفرض نفسها على طبيعة هذه العلاقة كصعود الصين كقوة تبحث عن متطلبات الريادة كدولة عظمى امام تراجع غير متسارع في دور السياسة الروسية لاسيما في مجال الاقتصاد. وهناك جملة من الدوافع التي ترسم الخطوط الرئيسية لهذا المشهد وهو زيادة النفوذ الصيني في سيبيريا ويقابلها مجموعة من الكوابح التي قد تعرقل مسارات هذا المشهد وهي كما يأتي:

١. الدوافع

أ. استمرارية الهجرة : المعروف ان الدوافع الاستراتيجية الثانوية بمرور الوقت تصبح اكثر اهمية ^(١) وتعد الجاليات الصينية الاكثر عددا والاسرع ايثارا ومساهمة في توسعة النفوذ الصيني في خارج الصين، وكما ذكرنا سابقاً يعود تاريخ الهجرة الصينية إلى سيبيريا إلى منتصف القرن (١٩)، ووجود هذه الاقلية مع هذا التاريخ الطويل وما يترتب عليه من ولاء للقومية الصينية في طبيعة شخصيتهم يولد اولوية وترسيخ قاعدة مهمة يمكن ان تكون الركيزة الأساسية للاستحواذ اللاحق على سيبيريا وبالتالي تكوين مجتمعات ذات ولاء للصين بكل مصالحها الاقتصادية والتجارية والاجتماعية مما يجعل فرص الانتشار الصيني اوفر لاسيما وان طبيعة الشخصية الصينية تؤمن بأولوية الاسرة وهذا بطبيعة الحال هذه فإن ذلك يؤدي إلى زيادة النفوذ الصيني خاصة مع القرب الجغرافي الذي ساعد بشكل كبير في زيادة الهجرة والتوطين، فضلا عن الهجرة المعاكسة للروس بسبب الظروف المعاشية والطبيعية الصعبة وصعوبة مجارات العمالة الصينية من حيث تدني الاجور ومستويات المعيشة مما يجعل المنطقة في متوالية عديدة مطردة لزيادة صينية وتناقص روسي.

(1) Ari . P ، 'Russia's Geopolitical Interests in The Baltic Area ،the Center for International Affairs ،Finnish Defense Studies، National Defence College Helsinki 1999 ،pp 11_12.

ب. ارتفاع قدرة الاقتصاد الصيني ووصوله إلى المرتبة الثانية عالميا بواقع (١٢) تريليون دولار زاد من مستويات قابلية الحكومة الصينية على الاستثمار في ظروف صعبة وفي مجالات متنوعة، فحاجة الصين للطاقة والموارد المعدنية لاسيما المتوفرة في سيبيريا وبكميات هائلة جدا اتاحت الفرص الاوفر للصين في الدخول في مشاريع مشتركة وغير مشتركة مع الحكومة الروسية في سيبيريا وغيرها إذ تمتلك الصين الكثافة السكانية والثروة لملى سيبيريا عكس روسيا، (وبنظرة على تاريخ الهجرة الصينية يمكن ان تكون هذه مسالة وقت فقط) ^(١)، وساهم ذلك في الحصول على فرص وأصول رسمية وغير رسمية في داخل روسيا مما يفتح ذلك مجالات اكبر لها قد تعجز عن الولوج فيها روسيا خاصة وان محاولات روسيا في تأهيل سيبيريا متواضعة مقارنة بالصين فدخول الشركات الصينية في بناء المنشأة وانابيب النفط فضلا عن تاجير وشراء الارضي وبكميات واسعة اكسبت الصين واقع حال قد يصعب على الروسيين الدخول فيه كمنافس لاسيما مع اقتصاد يعد اكثر تدني يعجز عن مجارات التتين الصيني فإن تفوق روسيا هو تفوق عسكري وليس اقتصادي وهذا التفوق قد لا يعد معياراً مهماً في قياس ردع هيمنة الصين، فالتفوق الاقتصادي لا يمنح ذريعة كبيرة لاستخدام القدرات العسكرية لاسيما مع تبني الصين نموذج من التعامل المتواضع يصعب على الخصوم فيه منافستهم. اي ان استبعاد الاستخدام الحول العسكرية لتداخل وتعقيد العلاقات بين الطرفين لذلك فإن استمرار الصين في زيادة النفوذ في سيبيريا يقابله تناقص روسي يزيد من ترسيخ الهيمنة الصينية في سيبيريا لدى صناع القرار الصينيين والروس في الوقت نفسه.

ويرى فريق من المفكرين ان الصين تتمتع باهداف طويلة الامد للسيطرة على المنطقة إلا أنه ليس لديها خطة وجدول زمني دقيقان ^(٢) لاسيما مع ما تمتلكه من سياسة النفس الطويل التي قد تفنقرها الإدارة الروسية في سياستها في العديد من

(1) Branka .G.J ,Russia Diplomatic and Relationship A Historical Review ، Master in Chinese Studies UPF ،PP 8_9.

(2) Richard . R ،op . cit ،pp 1_4.

الملفات والمشكلات الدولية التي تواجهها وبالتالي سيكون النفوذ الصيني في سيبيريا مسالة حتمية .

ت. وفي كلا الحالتين فإن تزايد النفوذ الصيني المشروع وغير المشروع في سيبيريا والشرق الاقصى الروسي سيكون له تاثير على امتصاص الثروات من سيبيريا اي ان التوسع الصيني سيقابله صعوبة من وصول اوربا إلى غاز اسيا الوسطى وسيبيريا ⁽¹⁾ لاسيما مع العقوبات الأوروبية المستمرة على روسيا مما سيزيد من تبعية روسيا إلى الصين وعلى مستويات متعددة مما سيجعل فرص الصين اوفر حظا في سيبيريا من ناحية الاستثمار والاستيطان كدور من ادوار تقليص التاثيرات الأوروبية والامريكية على روسيا . فبدلا من ان يكون التنافس على الصدارة بين روسيا واوربا والولايات المتحدة الامريكية ستكون المعادلة روسيا صين ضد امريكا _اوربا وفي هذه الحالة تكون طرف المعادلة الروسي_ الصيني اقوى من مواجهة احدهما للغرب .

٢. الكوابح :

أ- على الرغم من الهجرة الصينية والانتشار الواسع فيمكن عد ذلك جزء من التضخيم الاعلامي الغربي على البلدين لخلق فجوة بينهما تساهم في اضعاف تقاربهما الذي قلص الاعتمادية الروسية الأوروبية المتبادلة باتجاه كفة الصين لاسيما مع العقوبات الغربية الكثيرة لروسيا .

ب- تخفيض المجتمع الصيني في سيبيريا من قبل الحكومة الروسية وخاصة المهاجرين غير الشرعيين من ناحيتين اما بمنع الهجرة الصينية أو صهرهم وتجنيسهم ضمن القواعد واللغة الروسية مما يجعل نمو فرص روسية اكبر باتجاه تحديد الوجود الصيني في سيبيريا وهذا يمكن ان يكون سلاح ذو حدين فإن تاهيل عمالة صينية جاهزة وماهرة في العمل ضمن القواعد الروسية باجورهم المتدنية

(1) Bobo ،L ،op.cit ،pp 11_12.

ومهاراتهم العالية يمكن ان تكون البديل عن ارتفاع مستويات اجور العمالة الروسية وهجرتهم المستمرة من هذه المنطقة إلى مناطق اكثر حيوية في روسيا . مما سيعيد روسيا إلى المنطقة شبه المهجورة هذه بهيئة مختلفة، وأما سيكون ذلك تهية سيبيريا لمستقبل صيني وفي عام (٢٠٠٩) سجلت روسيا زيادة ديمغرافية في سيبيريا ايجابية مع زيادة في الهجرة الروسية للمنطقة دفع إلى توازن نسبي قد يؤدي إلى تقويض مستقبل النفوذ الصيني ^(١) .

ت- زيادة الشراكة الروسية _ الصينية يظهر ترسيماً للتعاون بين البلدين يُعرقل من نفوذ الصين وغيرها للهيمنة على سيبيريا .

ثانياً: مشهد تراجع مستويات النفوذ الصيني.

ويقوم هذا المشهد الاحتمالي على فكرة تراجع مستويات النفوذ الصيني في سيبيريا لورود متغيرات تفرض نفسها على طبيعة هذه العلاقة كقوة ومستويات روسيا عالمياً وقدراتها الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وهناك جملة من الدوافع التي ترسم الخطوط الرئيسية لهذا المشهد ويقابلها مجموعة من الكوابح التي قد تعرقل مسارات هذا المشهد وهي كما يأتي:

أ. يمكن عد التعاون الروسي الصيني من ناحية أخرى لاسيما بعد اخذه طابع زيادة العلاقات الثنائية والشراكة الاستراتيجية التي زادت وتيرتها بعد نهاية الحرب الباردة ^(٢)، ومع زيادة الاستثمارات الصينية في سيبيريا وروسيا بشكل عام، بأنه مشهداً تعاونياً متناظراً بين الطرفين مما سيقنن الوجود الصيني ضمن اليات وقواعد عملية تجعل سيبيريا ذات فائدة للطرفين مما سيصرف فكرة النفوذ الصيني إلى فكرة الفائدة الحتمية للطرفين، وهذا البناء سيكون اقرب لهيكلية جديدة من العلاقات الدولية

(1) Richard . R ،op . cit ،pp 1_4.

(2) Margarete . K and Kirsten . W ،Russia : Turn to China ؟،Stiftung Wissenschaft und Politik(SWP) ،German Institute for International and Security Affairs ،Germany 2016 .

تسمح لدولتين بهذا المستوى في التأثير في السياسة الدولية في اتجاه التعددية القطبية التي هي غايتها المرحلية. وبالتالي لن تسعى الصين نحو تدمير هذه العلاقة المجازية بسلوكيات تبعث نحو التوتر بينهما . فروسيا بالنسبة للصين مهمة من ناحيتين فهي مصدر للموارد الأولية بالدرجة الأساس وكذلك هي سوقا رئيسية مجاورة لها .

ب. اغتجعت روسيا نحو تحديث وتطوير البنى التحتية في سيبيريا كتطوير المنشأة النفطية ومد خطوط النفط والغاز إسبو من قبل شركات روسية عديدة كترانسفنت وغيرها لمسافة تصل إلى (٤١٨٨ كم) في عام (٢٠١٢)، وثلاثة محطات ضخ نفطية أخرى في كانون الأول الأول (٢٠١٤) وزادت قدرة النفط في المحطات إلى نحو (٥٨) مليون طن سنويا وينقل النفط الخام من الحقول في منطقة تومسك ومنطقة اوكروغ خانتي مانسي ذاتية الحكم في غرب سيبيريا كما يصل خط انابيب اومسك _ إيركوتسك الحالي مع خط الانابيب في تاشيت ويزود النفط من محافظات سيبيريا الشرقية (١) .

وفضلا عن شركات النفط والغاز الروسية سعت الحكومة الروسية نحو تاهيل وتوطين العديد من العوائل الروسية وذلك لموازنة وتلافي نتائج الهجرة المعاكسة أو معادلة تزايد الهجرة الصينية اليها من خلال فتح العديد من المشاريع والمصانع لاسيما مصانع الأسلحة لتشجيع العمالة الروسية لمواجهة الحياة الصعبة في منطقة سيبيريا، فضلا عن تشجيع السياحة والتجارة وغير ذلك من المشاريع الأخرى، ان مضي روسيا في هذا النهج سيؤدي إلى تحجيم أو تناقص للنفوذ الصيني مع ما يرافقه من توطين وصهر للمهاجرين الصينيين ودمجهم باللغة الروسية ووضعهم ضمن المواطنة الروسية

(1) The ESPO (Eastern Siberia Pacific Ocean) Oil Pipeline ،Siberia ،Russia ،
https : www.hydrocarbons _ technology . com/projects/espopipeline ،pp
2_4. Accessed January 2018.

سيقل فرص تزايد النفوذ الصيني لا بل يعطي روسيا اولوية في استخدام عمالة صينية تعودت على العيش في ظروف معيشية متدنية وصعبة ويعملون في خدمة روسيا .
ويقابل هذه الدوافع جملة كوابح أساسية تساهم في تقليص الدوافع لهذا المشهد.

الكوابح

١ . حاجة الصين إلى الموارد الأولية لاسيما النفط والغاز وقربها الجغرافي وسهولة النقل والتخزين سيدفع بالصين إلى استغلال جميع الطرق المتاحة وغيرها للوصول إلى هذه الموارد، لاسيما مع ماتملكه الصين من قدرات مادية ومثابرة ورخص العمالة والادوات سيجعل الوسائل الروسية غير مجدية لاسيما مع وجود الجالية الصينية المنتشرة في سيبيريا .

٢ . على الرغم من تطور العلاقات الروسية الصينية خلال العقود الثلاثة الماضية التي شملت قطاعات عدة وتبادل الاستثمارات إلا أن سوء الظن بين الدولتين يأخذ حيزا في تفكير صناع القرار لكل منهما وذلك لاعتبارات تاريخية بين البلدين فضلا عن التنافس بينهما كقوتين تبحتان عن الصدارة الدولية ومحاولة وضع اليد على مناطق الموارد الطبيعية، وهذا يجعل كل منهما في سباق متعاكس وذلك من خلال الاستثمار في ارض كل منهما للاخر ومحاولة النفوذ بالطرق الرسمية وغير الرسمية وردود الفعل لذلك من جهة أخرى . وكذلك تسعى روسيا للعودة كقوة عظمى ، وهذا ملاحظناه في اكرانيا وسوريا وايران وسيكون ذلك على حساب الصين بقدراتها الاقتصادية وغيرها لاسيما بعد ان خرجت متراجعة امام الولايات المتحدة شأنها بذلك شان رواد المدرسة الواقعية كالولايات المتحدة واوروبا .

المشهد المرجح :

سيشهد هذا المشهد زيادة في الوجود الصيني في سيبيريا لما تحتاجه من موارد وما تنطويه على قدرات فائقة وامكانات اقتصادية وعمالة ماهرة تزيد من سبلها في الاستثمارات في سيبيريا (فقد تعودت الصين النفوذ إلى مناطق خطرة وغير ذات جدوى

اقتصادية تعجز عن ذلك دول متقدمة أخرى) مما قد يجعلها منطقة اقتصادية تجارية صينية ولكن ذلك كله تحت الهيمنة الروسية، وذلك لاسباب عدة :

١. ادراك الصين للقوة العسكرية الروسية الهائلة والتفوق الكبير لها والذي قد يشكل عقدة ونقطة ضعف كبيرتين في الوقت نفسه لدى الصينيين تمنعهم من الاستحواذ على سيبيريا ففي المحصلة النهائية فإن سيبيريا هي روسية (لاكثر من ثلاثة قرون). وبالتالي لا تريد الصين ان تجد نفسها في موقف حرج مع روسيا .
٢. تبحث الصين عن الربح الانبي كدولة صاعدة وفي كل سياساتها الاقتصادية لم تجعل الاستيطان هدف رئيس من اهدافها في الدول الضعيفة فكيف الحال مع دولة بحجم روسيا .
٣. تمتلك الصين العديد من البدائل كمصادر للموارد الأولية والطاقة التي تدفع بعيد عن الاستئقال أو الاستحواذ العسكري من اجل سيبيريا .
٤. الشراكة الروسية_الصينية هي واحدة من معالم السياسة العالمية وهناك علاقات قوية في مجالات مهمة مثل مسائل الطاقة والتعاون العسكري والصناعي والدفاع المتبادل عن حدودهما والتبادل التجاري وعبور السلع والعمالة وتنظيمات العملة والاستخدام الحر للمجال الجوي، ومنع الجريمة والمنظمة والارهاب، ونظرتها تجاه العلاقات الدولية المركزية المشابهة لنظرة الولايات المتحدة الامريكية (ولكن على الامد البعيد)، كل ذلك يجعل روسيا والصين في انسجام شبه تام ولن تكون سيبيريا في منأى عن هذه الشراكة^(١)، وحتى في موضوع الهجرة للصينية يرى بعض المحللون الدوليون ان زيادة التدفق الصيني والسيطرة الاقتصادية والنشاط الصيني في سيبيريا ليست قضية تنافس ونفوذ وانما هي نتيجة طبيعية للتعاون الصيني الروسي وان فكرة التوسع الصيني مبالغ فيها^(٢) .

(1) Branka . G .J ،op.cit ،pp8_9.

(2) Richard . R ،op . cit ،pp 1_4.

الخاتمة والاستنتاجات

تعد سيبيريا من مناطق السهل الممتنع الولوج إليه فهي من جانب من اهم المناطق ذات الموارد الطبيعية الأولية لاسيما موارد الطاقة كالنفط والغاز والتي تطمح لها قوى التنافس، ومن جانب اخر فإن قساوة الظروف الطبيعية كانهخفاض درجات الحرارة وبعدها الجغرافي عن مناطق القوة لروسيا وبالتالي يتطلب تأهيلها قدرات مادية وبشرية عالية الكلفة من جانب اخر، مما حدا بالصينيين للهجرة اليها وخاصة مع القرب الجغرافي لها، والذي تحول لاحقا إلى سياسة اقتصادية تدعمها الصين عبر تطوير العلاقات السياسية والاقتصادية والاستثمارات في روسيا غيرت طبيعة السياسة بين البلدين من التناقض إلى الشراكة الحذرة، لاسيما وان سيبيريا تعج بالموارد الطبيعية التي تسهم في امدادات روسيا إلى اوربا والمصالح الامريكية، وسيتيح للصين دوراً مؤثراً في سياستها تجاه اوربا والولايات المتحدة من خلال سيبيريا .

ان النفوذ الصيني واسع وقديم الانتشار في سيبيريا فقد وصلت الهجرة الصينية إلى مستوى سياسة واقع الحال التي اجبرت روسيا على القبول الحذر والتوطين لهؤلاء المهاجرين الذي كانوا في الوقت نفسه الأداة الفاعلة في توسعة النفوذ الصيني في هذه المنطقة شأنها بذلك شأن العديد من مناطق العالم التي غزتها الصين اقتصاديا كأفريقيا وامريكا اللاتينية وغيرها .

وعلى الرغم من الانتشار الواسع للصين في سيبيريا إلا أن ذلك لا يصل إلى مستويات الهيمنة والاستحواذ لاعتبارات مقترنة بوضع روسيا السياسي والعسكري والاقتصادي العالمي .وان الصين لن تتورط في مواجهة دولة بهذا الحجم فسياسة الصين خلال العقود الماضية لاسيما في قضية تايوان وهونكونج تعطي مديات اوسع للصينيين في الوصول لاهدافها دون رفع مستويات التوتر مع اي طرف لاسيما روسيا . فضلا عن الشراكة والتداخل التجاري الاقتصادي بين كل من روسيا والصين يجعل فكرة الهيمنة على سيبيريا من قبل الصين بعيدة على الاقل خلال ثلاثة عقود القادمة، ريثما تاخذ الصين حيزا مختلفا (مع النمو المطرد لاقتصادها) قد يكون بعد ذلك راي مختلف لدى كل من صناعات القرار لهما فإمكانيات النفوذ أو الشراء أو البيع مفتوحة امام الطرفين .

References

A. Reports

1. OPEC ‘Organization the Petroleum Exporting Countries ‘ Annual Statistical Bulletin ‘2016 .
2. British Petrolum ‘Statistical Review of world Energy ‘JUNE ,2014 ,[https://www. bp.com/energy-outlook](https://www.bp.com/energy-outlook) ‘p 8.

B. Books

1. Maria Renpnkova ‘Media Politics in China ‘First Published ‘ Improvising Power Under Authoritarianism ‘Georgia State University ‘Georgia ‘2107 .

C. Researches and Papers

1. Amanda. B ‘Geography of Siberia ‘Learn Information about the Eurasian Region of Siberia ‘Thought Co. Updated March 17 ‘2017 .
2. Andrei Markevich and Tatiana Miknailova ‘Economic Geography of Russia ‘New Economic School ‘Moscow ‘ February ‘2012 .
3. Ari . P ‘Russia’s Geopolitical Interests in The Baltic Area ‘the Center for International Affairs ‘Finnish Defence Studies, National Defence College Helsinki 1999 ‘pp 11_12.
4. Bobo LO ‘Sino _ Russian Relations ‘Short Term Policy Brief 87 ‘Europe Chia Research and Advice Network (ECRAN) European Union May 2014 ‘Steinbeis ,
5. Grzegors . N ‘The Rising Dragon and Wounded Bear :Analysis of Modern Sion _ Russian Politival and Economic Relations ‘Cracow University of Economic 2012 ‘



6. Joseph . W ‘Is China aiming for Sibirria ? Does it want to take Siberia away from Russia ‘<http://www.bitquant.com.hk>.
7. Keith Suter, 1969 : Russia and China _ The war That did not Happen ‘Copyright © The Global Factor Pty Ltd All Right Reserved
www.Global-Directions.com
Keith@KeithSuter.com.au.
8. Linda . J ‘and others ‘China’s Energy and security relations with Russia ‘Policy Paper ‘Stockholm international Peace Research Institute(SIPRI) ‘October 2011.
9. Margarete . K and Kirsten .W ‘Russia : Turn to China ? ‘ Global Issues Division ‘German Institute for International and Security Affairs, January 2016 .
10. Maria . R ‘Harley . B ‘Chinese Migration to Russia Missed Opportunities ‘Wood Wilson International Center for Scholars ‘ Washington ‘D,C ‘2009.
11. Margarete . K and Kirsten . W ‘Russia : Turn to China ? ‘ Stiftung Wissenschaft und Politik (SWP) ‘German Institute for International and Security Affairs ‘Germany 2016 .
12. Pierre . N ‘The Power of Siberia natural _ gas project commercial or political ? ‘for Russia The power of Siberia gas deal with China is a long term investment aimed at securing geopolitical returns.

D. Internet

1. The Changing Geopolitical Importance of Siberia .
[https://worldview .stratfor. com/.../changing-geopolitical-importance-s](https://worldview.stratfor.com/.../changing-geopolitical-importance-s).

2. The ESPO (Eastern Siberia Pacific Ocean) Oil Pipeline ، Siberia ،Russia ،[https : www.hydrocarbons _ technology . com/projects/espopipeline ،pp 2_4](https://www.hydrocarbons _ technology . com/projects/espopipeline ،pp 2_4). Accessed January 2018.
3. Andrew .E.Kramer ،China ’s Hunger Fuels Exports in Remote Russia،www.nytimes.com/2010/06/10/business/global/10ruble.html?...all . . Accessed January 2018
4. Xavier Luizer ،Ksenia Bolchakova ،Is Siberia becoming Chinese ? 2012 ،<http://www.france24.com/en/20120928-reporters-siberia-chinese-immigration-russia-blagoveshchensk-farming-labourers-business-tension>
5. Richard . R ،Will China Colonize and Incorporate Siberia ? July 2012 ،[https ://www reddit.com/.../will_china _colonize_and_ incorporate_sib. .](https://www reddit.com/.../will_china _colonize_and_ incorporate_sib. .) Accessed January 2018.
6. Russia _ China : Future changes in Siberia LEAP 2020. www.leap2020.net › Home/Accueil
7. Holly . E ،Why Siberia Could Be Russia’s Secret Economic Weapon ،18/June 2014 ،<https://www.cnbc.com/id/100823089>.
- ،56 PARA//EL ،Australia ،Taimen Fishing in Central Siberia www.56thparallel.com/.../Taimen-fishing-in-Central-Siberia-summer. . Accessed January 2018.

المخلص:

تعد سيبيريا واحدة من اهم مناطق الثروات في العالم لما تحتويه من موارد اولية لاسيما الطاقة كالنفط والغاز ، وبسبب قربها الجغرافي من الصين والبعد عن مركز القوة الروسي ، اعطى الصين مع قدراتها الاقتصادية والبشرية تقدماً ملحوظاً فيها ، ساهم في تمكينها في استثمار كبير وطويل المدى لموارد هذه المنطقة ، وقد أقلق هذا التواجد مع هذه الكثافة الجانب الروسي سياسيا واقتصاديا لما تحتويه من الموارد الاقتصادية الروسية على الرغم من التعاون بين البلدين في مجالات عدة للاستفادة من هذه الموارد ، وقد اعتمد البحث المنهج الوصفي والتحليلي حول ادوات كل من الجانبين في التزاحم على الموارد في هذه المنطقة ، فسرعة انتشار الصين مع رخص العمالة وقدراتها التقنية و الاقتصادية يقابلها تراجع تكتيكي روسي ، و توصل البحث إلى أن التواجد الصيني هو انتشار وتواجد مهم ولكنه تحت مظلة روسيا وهي الدولة ذات القوة العسكرية والاقتصادية الكبيرة في العالم واحد اعضاء مجلس الامن البارزين .

ABSTRACT :

Siberia is one of the most important areas of wealth in the world. It has magnitude and variety of primary resources, especially energy, such as oil and gas. Due to its geographical proximity to China and the far distance from the Russian power state, this gave China along with its economic and human capabilities a significant progress, contributing the feasibility of large and long-term investment to the resources of Siberia. The Russian state was politically and economically concerned by this presence with this intensity for the concentration of the most resources of the Russian economic power despite the cooperation between the Russian and Chinese in several areas to benefit from these resources. This research adopted a descriptive and analytical approach with respect to the overcrowding of resources in that area. The speed China with the cheap labor and technical and economic capabilities has been noticeable. This has been met by the decline of Russian tactics. The findings showed that the presence of China is an important presence though it has been under the umbrella of Russia, that is the country with the great military and economic power in the world. It is one of the Security Prominent as well.